يقف عند عمليات التحول الاجتماعي، والاقتصادي، والقيمي، في الحياة العربية المعاصرة، وذلك لكون هذه التحولات حدثت متزامنة مع تصاعد الصراع العربي ـ الصهيوني، الامر الذي حال دون النظر، موضوعياً، الى العرب، بسبب وضعية الامتياز الصهيوني هناك . ومن باب أولى ان يجهل الغرب الفلسطينيين، بخلاف قليل من الاضواء التي بدأت تلقى عليهم في السنوات الاخيرة وبثمن باهظ من التضحيات. وربما يمثل هذه الوضعية ما ذكره أحد المراقبين العرب للحياة الثقافية في الولايات المتحدة من ان «الصهيونيين يأخذون على عاتقهم التحدث باسم فلسطين والفلسطينيين، ويعنى هذا باستمرار اعاقة الصوت الفلسطيني أو التمثيل الفلسطيني على المسرح الدولي»(٤٨). كما ذكر، أيضاً، «انه نادر جداً ما تجد مقالات كتبها العرب عن انفسهم ؛ وعندما تنشأ رغبة في سماع الصوت العربي، فان خبيراً غربياً في شؤون الشرق الاوسط يدعى لكي يقوم بهذه المهمة»(٤٩). وبهذا، فان الصورة الفلسطينية المشوهة ـ من وجهة نظرنا ـ هي الصورة الصحيحة من وجهة نظر الغربيين، وخصوصاً انهم لا يعرفون غيرها؛ وبالتالي، يضحي الصاق مفهوم «الارهاب» بالفلسطينيين، في الآونة الاخيرة، أمراً مقبولاً بعد ان تم تجهيز المسرح لاستقبال صور وآراء من هذا القبيل عنهم.

لا شك في ان الجهل بحقيقة العرب والفلسطينيين جمعياً يمثل أحد تحديات الصورة الفلسطينية والقضية الفلسطينية في الغرب. انهم لا يعرفون الفلسطينيين المعاصرين بشكل موضوعي، بمثل ما انهم لا يعرفون فلسطين التاريخية بالمنطق الصحيح أيضاً؛ وهذا ما يجعل الطلبة العرب، أو افراد الجالية العربية، والسياح منهم، يواجهون في الغرب بأسئلة ساذجة في جوهرها، تعكس الجهل المطلق بالمنطقة، على غير ما يتوقع من شعوب متقدمة وقوية(٥٠). من الاسئلة التي تلقى على العرب في الولايات المتحدة، مثلاً، هل تعيشون في الخيام ؟ هل عندكم هواتف وتلفزيونات ؟ هل تجلسون على الكراسي ؟ هل تأكلون باليد أم بالشوكة والسكين ؟ وكأن العرب قادمون من كوكب آخر ! وبعضهم يتصور أن لبنان يقع في سويسرا وفرنسا(٥١). فاذا كان لبنان يقع عند بعضهم بين سويسرا وفرنسا، فأين تقع فلسطين ؟

اتجاهات التغيّر ومستقبل الصورة الفلسطينية

من الوقائع ما يحدث تأثيرات بعيدة المدى في مجرى الصراعات، سواء أفي مواقف اطراف الصراع أو الاطراف المراقبة له. وعبر فترة ممتدة كانت افعال اسرائيل في فلسطين تصور على انها انجازات، بينما بدا الفلسطينيون، من خلال مخيمات الـ «اونروا» والشكوى والعويل. والغرب يهتم بالوقائع اكثر من الاستماع للاستغاثات. ولذلك، كان لبروز العمل الفلسطيني المضاد (الايجابي) وانتهاج الكفاح المسلح بعد تنظيم الصفوف حول قيادة محلية، انعكاسات أهمها بروز الشخصية الفلسطينية على سطح الاحداث، مما أثار الاسئلة وسهّل مهمة الاستماع لوجهة نظر مخالفة.

ويعتبر العام ١٩٦٧ عام اعلان السياسة المحايدة الاوروبية تجاه الصراع في فلسطين، على المستوى الرسمي الحكومي. وذلك في اشارة الى رغبة اوروبا في الحفاظ على مصالحها في المنطقة العربية، بينما ظل الرأي العام الغربي منحازاً الى وجهة النظر الاسرائيلية. وبقيت الصورة الفلسطينية على وضعيتها، وبرز طابع الارهاب كمعلم اساسي من معالمها ـ هذا اذا استثنينا فئات محدودة جدا حاولت تقصّي الحقائق. اما في الولايات المتحدة، فقد تبنّى كل من القطاع الحكومي وشرائح الرأي العام وجهة النظر الاسرائيلية . فكأن وقائع العام ١٩٦٧ احدثت هوة بين موقف الرأي العام والمواقف الحكومية في اوروبا الغربية . وقد تأكدت هذه الحقيقة في استطلاعات الرأي